منتهية عن غيها وألفة جامعة تنعطف القلوب عليها ويندفع
المكروه بها ومادة كافية تسكن نفسه إليها ويستقيم أوده بها
أما القاعدة الأولى التي هي نفس مطيعة فلأنها إذا أطاعته
ملكها وإذا عصته ملكته ولم يملكها ومن لم يملك نفسه فهو بأن لا
يملك غيرها أحرى ومن عصته نفسه كان بمعصية غيرها أولى
وقد قال بعض الحكماء لا ينبغي للعاقل أن يطلب طاعة نفسه ممتنعة
عليه وقال الشاعر
أتطمع أن يطيعك قلب سعدى ۞ وتزعم أن قلبك قد عصاكا
وطاعة نفسه تكون من وجهين أحدهما نصح والثاني انقياد فأما
النصح فهو أن تنظر إلى الأمور بحقائقها فترى الرشد رشدا
فتستحسنه وترى الغي غيا فتستقبحه وهذا يكون من صدق
النفس إذا سلمت من دواعي الهوى فلذلك قيل من تفكر وأبصر
وأما الانقياد فهو أن تسرع إلى الرشد إذا أمرها وتنتهي عن الغي
إذا زجرها وهذا يكون من قبول النفس إذا كفيت منازعة الشهوات
قال الله تعالى ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما
وللنفس آداب هي من تمام طاعتها وكمال مصلحتها قد أفردنا لها
من هذا الكتاب بابا واقتصرنا في هذا الموضع على ما اقتضاه الترتيب
واستدعاه التقريب وأما القاعدة الثانية التي هي الألفة
الجامعة فلأن الإنسان مقصود بالأذية محسود بالنعمة فإذا لم
يكن آلفا مألوفا تخطفته أيدي حاسديه وتحكمت فيه أهواء أعاديه

١١

فلم تسلم له نعمة ولم تصف له مدة فإذا كان آلفا مألوفا انتصر
بالألفة على أعاديه وامتنع بهم من حساده فسلمت نعمته منهم
وصفت مدته عنهم وإن كان صفو الزمان عسيرا وسلمه
خطرا وقد روى ابن جريج عن عطاء عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال المؤمن آلف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف وخير
الناس أنفعهم للناس وروي عنه صلى الله عليه وسلم أن الله يرضى لكم
ثلاثا ويكره لكم ثلاثا يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا
وأن تعتصموا بحبله جميعا ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه الله
أمركم ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال وكل
ذلك حث منه على الألفة والعرب تقول من قل ذل وقال
قيس بن عاصم ۞ إن القداح إذا اجتمعن فرامها ۞ بالكسر ذو حنق
وبطش أيد ۞ عزت ولم تكسر وإن هي بددت ۞ فالوهن والتكسير
للمتبدد ۞ وإذا كانت الألفة تجمع الشمل وتمنع
الذلة اقتضت الحال ذكر أسبابها وأسباب الألفة خمسة
وهي الدين والنسب والمصاهرة والمودة والبر فأما الدين
وهو الأول من أسباب الألفة فلأنه يبعث على التناصر ويمنع من
التقاطع والتدابر وبمثل ذلك وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه
فقال لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله
إخوانا لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام وهذا
وإن كان اجتماعهم في الدين يقتضيه فهو على وجه التحذير من

Copyright © King Saud University